منافع التنويم ومضارهُ

اتى مصر القاهرة منذ شهرين مشعوذ فرنسوي أدهش الناس بخفة يدهِ ودقة صناعتهِ ولطف حيلهِ وحيَّر العقول بما اتاهُ من عجائب التنويم وغرائبهِ . فقد كان مستصحبًا فتاةً حسناء الغد رقيقة القوام لينة العطف منكسرة الطرف نحيلة البدن ضئيلة الوجه تكاد انفاس النسيم تهشم وجنتيها وانداء السماء تحني منكبيها . وكان يوقفها بمشهد من الناظرين ويحدق بمقلتيهِ اليها ثم يمرُّ يدهُ تجاه عينيها فتعتريها غيبة تصيرها كالصنم المنحوت من الجلمود او التمثال المسبوك من الحديد حتى انهُ يضع المسامير تحت اجفانها فلا تتألم ويغرز المسلات والابر في لحمها فلا تتوجع ويشج يديها الزمان الطويل فلا تتعب ويركز رأسها على كرسي وقدميها على آخر ويقف بثقلهِ على صدرها وركبتيها فلا تنحني ويوجه بصرها الى نكتة في السقف فتشخص اليها ساعات ولا تطرف بعينيها ولا تحرك مقلتيها ويشير اليها فتحملق في عيون الرجال وتصارعهم حتى تكرههم على النظر اليها ويجلسها بجانب الانسان فتلاصق بهِ قيامًا وقعودًا وسكونًا وحراكًا كأنها بعض جسدهِ او قطعة خيطت الى بدنهِ

والذي اجراهُ مع هذه الفتاة من الغرائب اجرى مثلهُ في نفر من الحاضرين فكانوا متى ناموا اطوع لهُ من يدهِ واتبع من ولدهِ كيفما مال مالوا معهُ وحيثما سار تبعوهُ وكلما تكلم صدقوهُ ومهما امر اطاعوهُ فاذا قال انتم في بلاد الثلوج ومنطقة الزمهرير والريح صرصر والبرد قارس شديد ارتجفوا بالفتنوا وطقطقوا بالاسنان وفركوا الابدان كأن الثلوج طمرتهم وكاد البرد يهرأهم . ثم اذا قال انتم في رمال محرقة ومفاوز ملتهبة تهب عليكم الحرور وتلفحكم ريح السموم تفحموا وفكوا الاثواب وروَّحوا وانفوا مهابَّ السموم كمن كاد يقع حرًّا . واذا قال اضحكوا ضحكوا وقهقهوا حتى اغربوا واضحكوا . واذا قال ابكوا بكوا وانتحبوا كمن نكب من الزمان شرَّ نكبة حتى اقلقوا الناظرين . واذا قال اصابكم مغص شدوا على البطون وضغطوا الخواصر وشكوا وتألموا كأن احشاءهم تتمزَّق فيهم . واذا قال قد اكل اسنانكم النقد والسلاق واشتد الما فتحوا افواههم وحاولوا اقتلاع اسنانهم وهم يضحكون الثكلى بحركاتهم وتغير هيئاتهم . واذا قال لهم انتم اعداء فتصارعوا تماسكوا وتصارعوا حتى لم تبقَ بهم قوة على الصراع الى غير ذلك من الافعال المضحكة المبكية المحيرة المدهشة

واعظم ما في ذلك كلهِ من الغرابة لم يبقَ من الحاضرين راء الا ارتاب في صحة ما رأى

واشتبه في كونهِ واقعيًّا حاليًا من التواطوء وسابق الاتفاق . ولذلك توارِدت علينا المسائل في حقيقة التنويم وصحة ما شوهد من مطاوعة المنوَّم للمنوِّم وخضوعهِ لهُ قولاً وفكرًا وفعلاً وانقيادهِ في كل الامور اليهِ كأنهُ آلة بين يديهِ او عاجز التي كل اعتمادهِ عليهِ . وقد حكمت علينا ضرورة الحال بتاجيل الجواب على تلك المسائل الى هذا الحين ولكنا لم نجد بأسًا من المجاوبة عليها الآن بعد فوات زمانها اذ الفائدة لا تنقص قيمتها طال عليها الزمان او قصر

اما التنويم فحقيقيٌّ وقد ثبت بتجارب لا تُرَدّ ولم يبقَ وجه للتكذيب في حقيقتهِ . واما ما أجراهُ المشهود الفرنسوي من الاعمال بين نوَّمهم فيعسر علينا ان نبتَّ حكمًا في ما اذا كان واقعًا صحيحًا او حاصلاً عن تواطوء واتفاق سابق بينهُ وبين الذين نوَّمهم اذ لم تتيسر لنا فرصة للبحث عن ذلك بحثًا مدققًا وافيًا . ولكن العلماء الثقات الذين يركن الى اخبارهم ويعتمد على تجاربهم قد رووا عن غرائب التنويم اخبارًا وحكايات لا تعد افعال هذا المشهود شيئًا يذكر . ولذلك لا يكون التصديق بافعالهِ من قبيل التصديق بالخرافات والميل الى النزهات . وقد رأينا ان نضرب في هذه المقالة صفحًا عن ماهية التنويم واقوال العلماء فيها لاننا طرقنا ذلك البحث مرارًا في مجلدات المنتطف الماضية وأن نقصر الكلام على ما تقرَّر التنويم من المنافع والمضار ليكون القارئ على بصيرة في امرهِ ويحذر من التمادي فيهِ والتهافت على ارتيادهِ بلا روية ولا مدًى

من أشهر خصائص التنويم ان نفس المنوَّم تنكشف لقبول ما يلقيهِ المنوِّم فيها من الاقوال والافكار وتمكنهُ منها تمكينًا متيناحتى يستعصي فيها ويتملكها ويحتز صاحبها ويدفعهُ طوعًا منها او كرهًا عنها الى العمل بمقتضاهُ . فالقاء المنوِّم افكارهُ في ذهن المنوَّم وتلقي المنوَّم هذه الافكار التي تتملك عليهِ وتدفعهُ الى اتمامها طوعًا او كرهًا يسمى عند ارباب هذا الفن "بالاستهواء" وقد ادرك الاطباء ما في هذا الاستهواء من الفوائد الجلّى في معالجة بعض الامراض وشفائها . وايدت ذلك مباحثهم وتجاربهم التي جرّبوها في المنوَّمين في مستشفى السلبتريار الذي أنشئ بمساعي شركو الفرنسوي وغيرهِ في مدينة باريس . وقد كانت حقيقة ذلك معروفة منذ عهد بعيد لعلم المتقدمين والمتأخرين ان الوهم قد يقتل صاحبهُ وانهُ قد يفعل ما لا تفعلهُ الحقيقة قال الشاعر "وكم للوهم من حيلٍ تروجُ" ولطالما احرم الوهم الانسان لذيذ المنام واورثهُ الضنى والسقام او اضاع رشدهُ وذهب بعقلهِ وصيرهُ مثلاً بين جيرانهِ واهلهِ . وما الوهمُ في هذا المقام الاَّ فكرٌ قام في ذهن الانسان وتنوّى حتى تمكّن فيهِ واستعصى وغلب ما يقاومهُ من الافكار فطرد بعضًا وساد على بعض وبات صاحبهُ ذليلاً بين يديهِ وعبدًا لا يجترئ ان يعصى عليهِ . فهذا الوهم او الفكر

المستعصي في الذهن هو من الفكر الذي يلقيه المنوِّم في ذهن المنوَّم بالاستهواء غير ان الاول يلقى الى ذهنهِ من المؤثرات والعوامل على طرق شتى والثاني يلقى الى ذهنهِ من المنوِّم على طريق التنويم . وقد تعرض للانسان احوال تنوِّمهُ وتجعل لهُ من نفسهِ استهواء فيلقي الفكر ويتلقاهُ معًا(١)

فالاستهواء يؤثر في النفس تأثير الوهم فيها ولا فرق بينهما الاَّ بالاعتبار المذكور آنفًا ولذلك خطر للاطباء ان يدفعوا الوهم بالاستهواء على حدّ قول المثل القائل "لا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد" وقول الشاعر

ولكل شيء آفة من جنسهِ حتى الحديد سطا عليهِ المبردُ

وقد تقدم ان الوهم يورث الانسان عللاً واسقامًا كثيرة . وقد استنصى الاطباء حقيقة اعمالهِ فحققوا انهُ اشد تأثيرًا مما هو شائع عنهُ وان تأثيرهُ يعم الحس والحركة والادراك في الانسان

اما تأثير الوهم في الحس فيتبيَّن ما حكاهُ فوكاشون الكيماوي الفرنسوي وهو انهُ الصق اوراقًا من طوابع البوسطة على كتف انسان نوَّمهُ ثم نبَّهها بقدح ضيقة من الحراريق وعصبها بعصابة بسيطة واوهمهُ بكلامهِ انهُ الصق حرَّاقة على كتفهِ وحينئذٍ ايقظهُ وراقبهُ عشرين ساعة ثم نزع العصابة فوجد ان طوابع البوسطة قد اثرت في كتفهِ تأثير الحراقة تمامًا وما ذلك الاَّ تأثير الوهم الذي حصل بالاستهواء لان طوابع البوسطة لا تميت بشرةً ولا تحمِّر جلدًا ولا تسحب مادة سائلة كما حدث لهُ

واما تأثير الوهم في الحركة فيتبيَّن ما ذكرهُ الطبيب ريِّل رينلدس سنة ١٨٦٩ وهو ان رجلاً غنيًّا نُكب من الدهر بفقد مالهِ فكثرت همومهُ واشتدَّت بلابلهُ حتى أُصيب بالفالج ولم يكن من يقوم بمعيشة عائلتهِ الاَّ ابنةٌ لهُ فوقع همُّ البيت على عاتقها وجعلت تجول من بيت الى بيت معلِّمةً . ولبعد المسافات كانت تتعب من المشي فتوهمت ان تعبها هذا ناتج عن ضعف اعصابها وانها ستفلج كما فلج ابوها وقوي هذا الوهم فيها تدريجًا حتى تمكن منها واستنصى وزادهُ استعصاء انشغال بالها بكبر المصيبة التي نزلت على بيت ابيها حينئذٍ . وما زال هذا الوهم يشتدُّ فيها حتى ضعفت رجلاها وعجزت عن المشي فلزمت البيت . واستدعت الطبيب رينلدس المذكور واخبرتهُ بما جرى لها . فعالجها معالجة ادبية ولم يفتأ عن السعي حتى تمكَّن من اقناعها بانها لم تفلج وانها قادرة على المشي ولما اقنعها بذلك اندفع الوهم من رأسها وعادت تمشي وتتعاطى اعمالها كجاري عادتها

(١) هذا جرى لبعض معارفنا بمصر القاهرة كما نظن . تجد تفصيل ذلك وجه ٢٥٩ من السنة الثانية من جريدة الشفاء و وجه ٢١٧ من السنة الحادية عشرة من المقتطف

واما تأثير الوهم في الادراك فيظهر من المثالين السابقين لانهُ لم يؤثر في اعصاب الحس ولا في اعصاب الحركة الا بعد تأثيره في الادراك وقد يكون اشد من ذلك كثيراً كما ترى في اصحاب السوداء والذين قاربوا الجنون وهو معلوم فلا لزوم للاسهاب فيهِ

وقد رأى الاطباء الباحثون اليوم ان يعالجوا مريض الوهم بالاستهواء لزوال الوهم الذي هو السبب فيزول عنهُ المسبَّب . بل قد ذهب بعضهم الى انهُ لا يوجد مرض وهميٌّ بل كل الامراض حقيقية وان من يتوهم ان بهِ علَّة ولا يجد الطبيب فيهِ علَّة انما يخلو من علَّة ظاهرة ولكن يكون بهِ علَّة حقيقية لم تبلغ درجة الظهور ويوجبون معالجتها بالاستهواء لازالة سببها اي الوهم اذا لم يفد لشفائها علاج آخر . فهذه فائدة عظيمة من فوائد التنويم تأول الى تقليل اسقام البشر وتخفيف آلامهم

ومن فوائدهِ ايضاً كشف الحجاب عن مسائل غامضة حيَّرت أولي النُّهى وذوي الالباب. نريد بذلك كشف حقيقة العجائب والمعجزات التي يدَّعي بها كثيرون من اهل المشارق والمغارب في هذا الزمان فتارةً يبلغنا من الهند ان بعض دراويشها يشقون العرج والمفاوجين والمقعدين ويفتحون عيون العمي وآذان الصم ويبرئون السقام وتارةً نسمع ذلك من اهل اوربا وتارةً من اهل افريقية. وقد تواترت اخبار هذه العجائب كثيراً وتعدَّدت الشواهد عليها حتى صار المنكرون لها مترددين في انكارهم وقويت ادلَّة المثبتين لها وطالت دعاويهم وعرضت . فاهل الهند يقولون ان آلهتنا واوثاننا منحت الاطهار من دراويشنا قوةً على عمل العجائب واتمام المعجزات ويتخذونها ادلَّةً على صحة دياناتهم وقدرة معبوداتهم . واهل اوربا المصدقون لها يقولون انها معجزات وعجائب يصنعها الله على يد عبيدهِ كما كان يصنع قبلاً على يد انبيائهِ واوليائهِ ويتخذونها ادلَّةً على صحة ايمانهم. ومفوضو افريقية ينسبونها الى معبوداتهم الطاهرة او النجسة. واما الذين ينكرون المعجزات والذين يعتقدون ان زمان المعجزات والعجائب قد تمَّ كما تمَّ عدد الانبياء والرسل فكانوا يكذِّبون ما يُروى عن تلك الاخبار او يحملونهُ على المبالغة او قلة التثبت او الخداع او نحو ذلك

غير ان ابحاث العلماء في هذه الايام قد قرَّرت حدوث معجزات كهذه او اغرب فدفعت اقوى الشبهات التي كان يوردها المنكرون لهذه المعجزات الحديثة وصار التصديق بحدوثها اولى من الانكار لهُ. ولكنها لم تثبت صدق القائلين بحدوثها حتى افسدت تعليلهم لها وابطلت الدعاوي التي بنوها عليها

ويظهر لنا ان بطلان دعاويهم هذه ثابت بالبرهان فضلاً عن التجربة والامتحان . لانَّا لو صدَّقنا فسلمنا انهم يعملون تلك العجائب والمعجزات بقوَّةٍ فائقة للطبيعة يؤتونها من الله سبحانهُ للزمنا التسليم بحسن عقيدتهم وصحة دياناتهم وكونهم جميعاً على الايمان القويم . والحال انهم مختلفوا الملل متضادوا العقائد متنافوا الايمان وهو يبطل ما سلمنا لهم بهِ . ولا يصحُّ ان يقال ان بعضهم

صادق في عمل المعجزات والآخرون كاذبون لان تصديقنا بمعجزاتهم مبنيٌّ على شهادة العلم والعلم يشهد انها يمكن ان تحدث عند كل امة وفي كل زمانٍ ومكان . فبقي ان المعجزات التي يعملها البشر في هذه الايام لا تعمل بتوسط القدرة الالهيَّة الفائقة الطبيعة كما عملت المعجزات التي تمت على ايدي الرسل والانبياء في سالف الزمان . وهذا الذي يثبتهُ العقل بالبرهان قد ايدهُ العلم بالتجربة والامتحان فان اطباء السلبتريار اتوا بامرأة مقعدة منذ سبع سنين وكانوا متى نوَّموها يلقون الى ذهنها انها ستشفى دفعةً بعد الصلاة وممارسة بعض الفروض الدينية وما زالوا يسمعونها مثل هذا الكلام حتى قام في ذهنها انها ستشفى دفعةً بعد التضرُّع والصلاة وآمنت بذلك ايمانًا ثابتًا . ولما انتهت من الصلاة يومًا في شهر ايار (ماي) قامت على رجليها وجعلت تمشي وتثب كأنها لم يكن بها فالج وانما بقي اثر ضعفٍ في عضلات جنبها لسبب لا يخفى وهو طول انقطاع العضلات عن العمل فزال بعد ايامٍ قلائل وشفيت من كل ما كان بها . فهذا الذي تمَّ بالتجربة وتحقق بالامتحان هو من باب المعجزات التي تتمُّ على يد الاوربيين والهنود والافريقيين وغيرهم في هذا الزمان . وسبب الشفاء في الكل واحدٌ وهو الوهم او الاعتقاد الذي يرتسخ في النفس فالمقعدة التي شفيت دفعةً بعد الاستهواء كالمقعد الذي يشفى دفعةً عند مشاهدته رجلاً موصوفًا بعمل العجائب وكلاهما يشفى من اعتقاده ان فلانًا او الامر الفلاني يشفيهِ وليس من قوة في فلان او في ذلك الامر فالعبرة هنا بالاعتقاد القائم في الذهن وليس بالمعتقَد بهِ . وهذا هو تعليل قول العامة المبني على الاختبار وهو "آمن بالحجر تبرأ" اذ الحجر لا يبرئ وانما البرء يحصل بالايمان او الاعتقاد الراسخ في النفس

هذا واللبيب يعلم ان شفاء العرَج والعمى والصم يمكن ان يكون كشفاء الفالج بتأثير الوهم في الاعصاب وقلَّ من لم يرَ او يسمع عن اناس شفوا في زماننا بغتةً ونسبوا شفاءهم الى قوةٍ أُوتوها من فوق او الى اناس غيرهم أُوتوها دون غيرهم كأن الله اختارهم من بين اهل زمانهم ورقاهم الى مقام رسلهِ وانبيائهِ المصطفين . فليتدبَّر ما ذكرناهُ ويعرض الاقوال على محك البرهان وميزان العقل قبل التسليم بها والانتصار لمن يدَّعيها على من يرتاب فيها او ينفيها

فهذه بعض فوائد التنويم واما مضارهُ فغير قليلة وهي من شر المضار الادبية ولذلك نرى ما براهُ كل من يغار على الشرف والعرض والانصاف والعفاف ان يمنع العامة عن التنويم كما هو ممنوع في بعض ممالك اوربا وان لا يسمح بهِ لغير المجرَّبين والمطبِّبين من افاضل العلماء والاطباء حتى يصير الناس على بصيرةٍ من امرهِ وحذرٍ من مضارهِ ويقينٍ من استعماله بلا خطر ولا ضرر . فما يخشى منهُ انهُ يؤدي بالضعفاء الى هتك العرض وتعدي حدود الصيانة والعفاف لما تقرَّر من انجذاب بعض الذين ينوَّمون بمس جلدة راسهم او بالنفخ على وجوههم الى الذي ينومهم

وتعلقهم به وارتياحهم الى القرب منهُ وقلقهم في البعد عنهُ . وهذا التلقي هو مبدأ الوجد والشوق وقد ادرك الناس ضررهُ منذ مئة سنة واكثر فان اللجنة التي انتدبها ملك فرنسا لفحص اعمال ديلون تلميذ مسمر المشهور بالتنويم افاضت في الكلام على ما يخشى من هذا التعلق على العرض والعفاف في التقرير السري الذي رفعتهُ الى الملك سنة ١٧٨٤ ولا حاجة لنا لاطالة الكلام فهو

ومما يخشى منهُ ايضاً وقوع المنوَّم في كل شرك ينصبهُ لهُ المنوِّم فانهُ بالاستهواء يفعل كل ما يطلبهُ منهُ المنوِّم فيعد بكل ما يطلب منهُ ويتعهد بانجاز وعدهِ بخطهِ وامضائهِ ويكتب على نفسهِ سندات لا صحة لها ويقرُّ لهُ بما يود كتمانهُ ويعترف بكل ما يطلب منهُ الاعتراف بهِ ولو كان في ذلك خراب بيتهِ وهلاكهُ وهلاك كل اقاربهِ وخلانهِ ويرتكب ما شاء منوِّمهُ من الجرائم فيقتل ويسرق ويكذب ويلعن اتماماً لما اوصاهُ بهِ في نومهِ وهذه الامور تحققها المجربون في مستشفى السلبتريار حتى لم تبق شبهة في صحتها. فكانوا ينوِّمون النساء ويسلمونهنَّ سكاكين من الخشب لقطع الورق ويوهمونهنَّ انها خناجر ويوصونهنَّ ان يطعنَّ بها اناساً يسمُّونهم. فكانت المرأة متى افاقت من التنويم تقاتل الرجل المسمَّى وتطعنهُ بسكين الخشب طعناً عنيفاً حسب امر المنوِّم حتى صاروا يطلبون ابطال هذه التجارب خوفاً من ان يأتي بعضها بما لا يُحمد. ونوَّم بعضهم امرأة متزوجة واوصاها بالاستهواء ان تتزوج راهباً شيخاً جليل الشان فلما افاقت اعرضت عن زوجها الاوَّل ولم ترضَ الاَّ الراهب الشيخ زوجاً لها ولم ترجع عن غيها حتى نُوِّمت ثانيةً واُوصيت بان تتزوج زوجها الاوَّل

وامر المنوِّم امرٌ لا مردَّ لهُ عند المنوَّم ولا يحيد عنهُ يمنةً او يسرةً . اتى بعضهم بسطح صقيل لامرأة نوَّمها وقال لها خذي هذه المدية واغرزيها هنا في هذا السطح . ولم يكن في السطح نقطة ما وخوفاً من ان لا يهتدي الى النقطة التي اشار اليها عيَّن مكانها بالقياس الدقيق على السطح . فلما افاقت المرأة فتحت فصلة المدية وغرزتها في النقطة التي عيَّنها تماماً دون ان تخطئها بمقياس خط ولو قال لها اغمديها في نحر فلان لما تأخرت عن ذلك لحظةً . ولا سيما لان المنوَّمين لزيادة البلية يقدمون على اتمام امر المنوِّم اقدام من عقد نيته كل العقد على اتمامهِ او تحركت فيهِ اشد المحركات والعواطف فصار لهُ من نفسهِ دافع شديد يدفعهُ ويحفزهُ الى اتمامهِ فيندفع ولا يلويهِ عن عزمهِ معارض ولا يردُّهُ عن جماحهِ كابح ويستهون لهُ كل صعب ويستصغر كل عظيم ولا يقلق ولا يتردد كمن يقدم على امر من تلقاء نفسهِ ولا يخاف بأساً ولا حراماً وذلك كلهُ بسهل عليهِ نوال غايتهِ وبقلل حذرهُ مقدوره منهُ. وقد علم ذلك الذين ينوِّمون في السلبتريار فصاروا اذا ارادوا اتمام امرٍ وخافوا ان تفارقهم شجاعتهم وينعدموا عن اتمامهِ جبانةً وهيابةً يطلبون الى رفاقهم ان يستهووهم ليتموهُ بعزم ثابت وبأس شديد

مباشرة العمل فيعود الى السعي والكسب الاّ الجاهل الكسلان فانهُ يعتمد عليهِ لتفريج همومهِ واراحة بالهِ فيكثر منهُ الى حد — الافراط — نبتعرّض للعلل التي ذكرها سيادة الدكتور حسن باشا محمود . ومع ان كثيرين من العظام العقول وذوي الهمم العظيمة يدخنون فلم نسمع ان الدخان اضرّ بهم وذلك لانهم يقتصرون على ما يريحهم منهُ ولا يفرطون وهم يقرّون بعظم نفعهِ في تنبيه قرائحهم وتحريك خواطرهم وشحذ ظبى عقولهم . فلوائدهُ فيهم لا تنكر . وكذلك يقال عن تأثيرهِ في القوى الجسدية حيث نرى ان كل من اعيا من سفرٍ او عملٍ شاقّ وكان معتادًا على التدخين شعر بشوقٍ متزايد اليهِ بمقدار زيادة اعيائهِ واستعمل منهُ كمية اعظم مما يدخن وهو مرتاح فيشعر بزوال جانب عظيم من التعب بسرعةٍ عجيبة . ولذلك ترى المسافر يتمّون دخانهُ قبل زادهِ

هذا وقد ثبت ان للدخان فعلاً عظيمًا في التغذية فقد تحقّق بعضهم فعلهُ في تقليل دثور انسجة الجسد وانهُ اذا اقل الانسان طعامهُ عن المعتاد تناقص وزن جسمهِ يوميًا (فوق نقص قواهُ) ولكن اذا اقل الطعام ودخّن باعتدال اخذ وزنهُ في الازدياد او امتنع النقص عنهُ (واخذت قواهُ في النشط) . فبالنظر الى ذلك يعتبر الدخان من الاغذية الاضافية المهمة

فهذه منافع الدخان التي يحصل كل مدخن على كلها او بعضها واما مضارهُ فلا تكون الاّ في الافراط . وعليهِ لا يجوز حرمان الانام من منافعهِ ولا سيما لانهُ مادة خفيفة الحمل والثمن سهلة المنال على كل انسان مهما كان فقيرًا واراني لست مغاليًا اذا قلت انهُ ربما كف الكثيرون بواسطتهِ عن استعمال غيرهِ من المكيفات المضرّة إضرارًا حقيقيًا . نعم يلزم منع الافراط منهُ واستعمالهُ بالاعتدال لتحصل منهُ الفوائد دون الاضرار وذلك سهل لانهُ ليس كغيرهِ من العقاقير المضرية التي لا تشبع منها الاّ النفوس الابية كالمسكرات التي تضرّي من ذاقها على عشق القدح فاذا واصلهُ تشبث بهِ ولم يفارقهُ ما لم يفارق الرشاد رغمًا عن ارتفاع اسعارها والعار اللاحق بهِ منها . واما الدخان فان المفرط منهُ اذا حدّثتهُ نفسهُ بتقليلهِ قللهُ بسهولة وان يكن تركهُ بالكلية من المستحيلات تقريبًا عند الاكثرين . ويستنتج ذلك من كون المفرطين قليلين بالنسبة الى كثرة شيوعهِ وقلة نقائهِ والمرجح عندي ان اكثر الافراط في التدخين لا يحصل عن طلب النفس بل من عوائد واسباب خارجة عن الانسان تحملهُ على استعمال مقادير اكثر من مطلوب شهوتهِ . هذا ومعلوم ان للتدخين بعض المنافع الدوائية كما في الربو اذا استعمل في غير المعتادين عليهِ موقتًا وربما لم يخلُ اذا استعمل دائمًا من منافع غير مشبتة للآن . فعندي انهُ لا بأس من تجربتهِ في بعض العلل الناتجة عن كثرة الافكار والهموم كبعض حوادث الهستيريا وما اشبه من العلل العصبية . اما استعمال الدخان سعوطًا ومضغًا فلا خلاف في استهجانهِ

هذا ما رأيته في شأن هذا الصفار المهمّ راجيًا من الكتاب الافاضل الذين خالفت آراءهم ان يغضوا عن جرأتي هذه اذ لم اقصد بها الاَّ الوصول الى الحقيقة التي من مثلهم ترجى و بأنوار معارفهم تجلى . والاَّمل ان الذين يطلعون على هذه الاسطر من المدخنين يلاحظون ما ذكرت من تأثيرات الدخان لعلنا نهتدي بذلك الى الصواب

الحريق بلا مُحرِق

المشهور عند عامّة الناس ان كل احراق لا بدَّ له من نار او ما ينوب منابها من مصنوعات البشر . ولذلك قام في اذهانهم ان كل ما يحترق في الارض فاحتراقهُ يكون إما بالبروق والصواعق او بمُحرِق ما صنعة البشر . وعليهِ تراهم كلما رأوا حريقة سألوا عَن احدثها ولو قيل لهم انها احترقت لذاتها بلا محرق من الصواعق او اعمال البشر لاستغربوا او كذَّبوا . ولكن هذا الاحتراق قد تحقق عند اهل البحث حتى لم تعد شبهة في صحة وقوعهِ وقد اهتدوا الى معرفة اسبابهِ وعرفوا ما يوافقهُ ولا يوافقهُ من الاحوال فصار العاقل يعرف كيف يتَّقي حدوثهُ ويدفع ضررهُ

وهذا الحريق بلا محرق كثير ولاسيَّما في الاقطان الرطبة المحزومة حزمًا شديدًا والخرَق المزيتة ونحوها مما سيذكر معنا . فقد عدُّوا انهُ احترق في خمس سنوات ست واربعون سفينة من السفن المشحونة قطنًا الى مدينة لفربول ببلاد الانكليز وكان احتراقها من احتراق القطن فيها لذاتهِ إما بُعَيد قيامها او قُبيل وصولها او بينهما في عباب البحار . وقد وجد رجلٌ من كبار صيارفة الانكليز الذين لهم اطلاع واسع على متاجر العالم ان ما يحترق من السفن المشحونة حبوبًا واقطانًا وسمادًا وفحمًا وكتانًا باحتراق هذه البضائع لذاتها يزيد معدَّلهُ عن معدَّل ما ذُكر آنفًا بكثير . ولما كانت تجارة الاقطان والخرَق متسعة النطاق في ديار مصر والشام وغيرها من البلدان التي يُقرأ فيها المنتطف رأينا ان نورد يسيرًا مما عُرف عن الحريق بلا مُحرِق لعلَّهُ يأتي بفائدة او يدفع غائلة

اذا غُمِست الاقطان والخرَق في الزيت ثم تُركت لتجف تخمَّت وارتفعت درجة حرارتها . وذلك لان الزيت يحترق في جفافهِ احتراقًا بطيئًا على درجة واطئة من الحرارة فلا يشتعل واما اذا عرض لهُ ما يعجل احتراقهُ فيشتعل ويشعل ما معهُ من الاقطان والخرَق ونحوها . وقد ثبت ذلك بتجارب شتى منها انهم غمسوا القطن في زيت ثم الخنزير حتى شبع منهُ ثم ركموهُ فتخمن حتى بلغت حرارتهُ ٤٣٨° بمقياس فارنهيت في اربع ساعات . وغمسوهُ في زيت اظلاف البقر ثم ركموهُ فتخمن واشتعل لذاتهِ في ست ساعات ونصف ساعة . وغمس اثنان نسيجًا في زيت الكتان وركماهُ في صندوق وقفلا عليهِ فما مضى ثلاث ساعات حتى تصاعد الدخان عنهُ ولما كشف عنهُ